

224365 - هل كتب البلاذري التاريخية موثوقة ؟

السؤال

أثبتتم بطلان الكثير من الادعاءات التاريخية المذكورة في كتاب " جمل من أنساب الأشراف " للإمام البلاذري رحمه الله تعالى :

كاغتيال عمر بن الخطاب لسعد بن عباد رضي الله تعالى عنهما ، في السؤال رقم : (219532) .

واعتداء عمر بن الخطاب على فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنهم ، في السؤال رقم : (98641).

وبطلان صحة حديث يذم معاوية في السؤال رقم : (210844).

بعد هذه الأمثلة ، هل يجوز - مع كامل الاحترام للإمام البلاذري رحمه الله - أن نعتبر الكتاب المذكور مصدرا موثوقا في سرد السيرة والتاريخ الإسلامي بشكل عام ؟

ملخص الإجابة

والخلاصة

أن الباحث المحقق لا يعتمد على موثوقية الكاتب أو الكتاب ، بقدر ما يستند إلى الدرس الخاص بالرواية نفسها ، وذلك بتمحيص أسانيدھا وأركانها ، وعرضها على النقد الداخلي والخارجي ، ليصير إلى النتيجة في كل رواية على حدة ، وبهذا ينتفع الباحث من كتب التاريخ كلها حتى لو اشتملت على بعض الروايات الغريبة المنكرة ، كما في كتب البلاذري .

وهذا ما سلكه المحققون من العلماء ، كالحافظ المزي ، والذهبي ، والحافظ ابن حجر ، ومن المتأخرين العلامة محمد رشيد رضا ، والشيخ الألباني رحمهم الله جميعا ، وغيرهم من علماء الرجال والتاريخ المتأخرين ، امتلأت كتبهم بالاعتماد على كثير من مرويات البلاذري ، ولم يردها أحد لمجرد ورودها من طريقه ، وإنما كانوا يقيمون البحث الخاص للتحقق من الرواية ، كما هو الشأن في التعامل مع أي كتاب .

للفائدة ، ينظر جواب السؤال رقم : (105660) .

والله أعلم .

الإجابة المفصلة

إطلاق وصف "الموثوقية" أو عدمها على كتب البلاذري لن يخلو من بعض الميل والحييف ،
وذلك أن أكثر كتب التاريخ المسندة - وكتب البلاذري منها - كانت تعتمد مبدئين اثنين
في سرد مروياتها :

الأول :

توثيق الحكاية والرواية وتدوينها كما بلغت ، مع الإحالة إلى الإسناد الذي تحقّل
تلك الرواية ، وإخلاء العهدة عن المسؤولية تجاه صحة الحادثة أو كذبها أو خطئها ،
وهذا المبدأ يقتصر على أمانة النقل ، والرغبة في الجمع والسرد المجردين ، من غير
تدخل في النقد ، ولا اجتهاد في الاختيار والتمحيص ، كي لا تفقد الكتب والصحف أيا من
الروايات والأخبار تحت غطاء النقد والتمييز .

الثاني :

جمع الطرق والروايات الواردة في الشيء المروي ، بحيث يتمكن الناقد من النظر في جميع
ذلك ، ويميز الثابت منها ، من غير الثابت ، ليقارن بينها ، وينتقي من غير الثابتة
ما يصلح في الشواهد والمتابعات ، ويمكن الاستئناس به .

مع التنبيه إلى أن المعتاد السائر في عمل المؤرخين : هو قدر من التساهل والتخفيف
في أمر المرويات التاريخية ، بما لا يعتاد مثله ، ولا يقبل في أمر المرويات الشرعية
والآثار النبوية .

وقد سبق التعرض لشيء من هذا المعنى في الموقع في جواب السؤال رقم : (105726) ،
والإمام أحمد بن يحيى البلاذري (ت279هـ) اعتمد في كتبه هذين المبدئين ، مع قدر جيد
من الانتقاء والاختيار والاجتهادات النقدية للمرويات .

ولكن الدراسة العملية التطبيقية أثبتت لنا اشتغال كتبه على الكثير من المرويات التي
ينفرد بها ، أو التي هي محل شك وتردد ، يسوقها أحيانا خطأ على وجه الاعتماد ،
وأحيانا أخرى يسوقها بمقصد الجمع والسرد وإحالة العهدة على الإسناد لا غير ، كما هي
عادة المؤرخين ، لا يختلف في ذلك عن الإمام الطبري مثلاً ، الذي امتلأت مؤلفاته
التاريخية بالمرويات غير الثابتة ، ولم يكن ذلك سبيلاً للطعن في شخصه ، فهو إمام
يسلم الجميع بإمامته ، وإنما فسر العلماء مسلكه هذا في ضوء المبدئين اللذين سبق
تقريرهما .

وهكذا الشأن في الإمام البلاذري ، فقد وصفه ياقوت الحموي في "معجم الأدباء"
(2/531) بقوله : " كان عالماً فاضلاً شاعراً راوية نسابة متقناً ، وكان مع ذلك كثير
الهجاء بذيء اللسان آخذاً لأعراض الناس ."

ونعته الإمام الذهبي في " سير أعلام النبلاء " (13/162) بأنه " العلامة الأديب المصنف ". وقال عنه في " تاريخ الإسلام " (6/505): " له كتب جياذ . وهو صاحب كتاب البلدان ، صنفه وأحسن تصنيفه " .

وهكذا لم نجد في المحدثين من يتهمه بالكذب ، أو نكارة الحديث ، وغاية ما هنالك وصفه بالهجاء وذرب اللسان ، والله يعفو عنا وعنه .

وقد استدل العلماء على تحري البلاذري في كتبه - في كثير من الأحيان وليس دائما - بقوله في بعض المواضع : " وقد روى ذلك ولا أدري من أين جاء به من رواه " . وقوله : " حدثني هشام بن عمار في إسناد له لم أحفظه " .

وبأنه في أحيان كثيرة يرجح بين الروايات ، ويظهر رأيه ونقده فيقول مثلا : " والخبر الأول أثبت " ، ونحو ذلك من العبارات .

وهذه كلها أمثلة تدل على قدر من التحري والتدقيق يبذله رحمه الله في كتبه .

ويقول الدكتور عبد العزيز الدوري :

" وقد شهد النصف الثاني للقرن الثالث الهجري ظهور مؤرخين لا تحدهم مدرسة أو اتجاه مما ذكر ، بل حاولوا أن يستفيدوا من مواد السيرة ، ومن كتب الإخباريين ، ومن كتب الأنساب والمصادر الأخرى المتيسرة ، وشملت دراستهم الأمة بصورة منظمة ، وكان عملهم انتقاء المادة بعد النقد ، وأفقههم عاما أو عالميا .

وأول ممثل للتطور الجديد هو أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت279هـ/892م). وله

كتابان مهمان هما " فتوح البلدان " ، و " أنساب الأشراف " .

أما فتوح البلدان فيبحث تاريخ الفتوحات الإسلامية ، ويقدم قصة متسلسلة لفتح كل مصر . وقد أخذ البلاذري مادته من الكتب الخاصة بفتوح كل مصر ، ومن المواد التي استطاع

جمعها خلال زيارته للأمصار ، ومن الروايات الأخرى المتيسرة . وطريقته في الكتابة

تكمن في أنه ينتقي المادة بعد الغرلة والنقد ، ويعطي صورة متزنة للحوادث ، مع تجنب

إيراد روايات متعددة حول الحادث ، وهو يعتمد كثيرا على روايات المدينة التي تتصف

بالحياد والدقة أكثر من غيرها ، كما أنه استفاد بالدرجة الأولى من الروايات المحلية

. وقد أورد البلاذري كثيرا من المعلومات القيمة عن النواحي الثقافية والاقتصادية

والإدارية .

أما " أنساب الأشراف " فهو كتاب عام للتاريخ الإسلامي في إطار الأنساب ، وهو يمثل

مزيجا فذا في الخطة والمادة . فخطته تجمع بين أساليب كتابة كتب الطبقات وكتب

الأخبار وكتب الأنساب . وتشمل سيرة كل خليفة الأحداث التي وقعت على عهده ، بما في

ذلك فعاليات الأحزاب السياسية ، مع عناوين فرعية للحوادث المهمة تشبه عناوين " كتب الإخباريين . وهو يراعي التسلسل التاريخي عادة ، ومع ذلك توجد استثناءات فرضتها ضرورة مراعاة تسلسل النسب (مثلا يرد الكلام عن يزيد قبل عثمان بن عفان) .

ينقد البلاذري مصادره قبل الأخذ عنها . ولكننا نلاحظ أن الآراء عن المؤرخين السابقين قد استقرت في عصره . وهذا ينعكس في مثل قوله " الواقدي في إسناده " ، و " أبو مخنف في إسناده " الخ .

ويظهر أن بعض الروايات كانت مقبولة لدى عامة المؤرخين كما يظهر من بعض أخباره التي تبدأ بـ " قالوا " .

ويظهر أن البلاذري في انتقائه لمادته التاريخية أعطى أهمية خاصة للروايات التي تعود للمنطقة التي وقع فيها الحادث ، وأتمها بروايات أخرى حول الموضوع .

فمثلا في حديثه عن " الشورى " يعتمد بالدرجة الأولى على الواقدي والزهري (المدينة)، ويضيف إلى ذلك روايات عن أبي مخنف (وهي أقرب للعلويين)، ويأخذ عن الزبير بن بكار فيما يخص الأنساب . وفي أخباره عن عبد الملك بن مروان يعتمد كثيرا على المدائني (عن عوانة بن الحكم)، وعلى عوانة بن الحكم والواقدي (دمشق والمدينة)، ويضيف إلى ذلك بعض الروايات العراقية . وفي أخباره عن وقعة (الحرّة) يستند بصورة أساسية إلى المدائني والواقدي وعوانة وأشياخ من المدينة ، وبذلك يعطي روايات مدنية وأموية .

أما مصادر البلاذري فمؤلفات مكتوبة وروايات شفوية . فبعض التعابير مثل " حدثني " و " قال لي " تشير إلى روايات شفوية مباشرة ، بينما تشير " روي " بصورة عامة إلى مؤلفات مكتوبة ، في حين أن " قال " تعني أخذ رواية شفوية أو الأخذ من كتاب .

ويستعمل البلاذري الإسناد عادة في بعض رواياته التي تتعلق بحوادث المدينة زمن الراشدين ، وفي بعض الروايات المنفردة ، وإلا فإنه يأخذ عن مصدر سلسلة إسناده معروفة ، فيكتفي بذكره . وكثيرا ما يستعمل الإسناد الجمعي ليدل على الاتفاق على المعلومات الأساسية ، ثم يورد إضافات بسيطة .

ويحدث أحيانا أن يورد البلاذري عدة روايات ، بينها شيء من الاختلاف حول الموضوع نفسه . وترد لديه بعض الروايات المنفردة دون إسناد .

على الرغم من اتصاله بالعباسيين إلا أن البلاذري محايد في أخباره ، وامتزن ، فهو يفسح المجال للروايات كافة ، ويحاول بصورة جدية أن يكون موضوعيا في أخباره .

ويعبر البلاذري في " أنساب الأشراف " عن فكرة وحدة الأمة واتصال خبراتها في التاريخ الإسلامي . أما " فتوح البلدان " فيظهر قيمة خبرة الأمة للأغراض الإدارية والتشريعية " .

انتهى من " نشأة علم التاريخ عند العرب " (ص 56-58) .
وللتوسع ينظر :

1. صلاح الدين المنجد ، مقدمة تحقيق كتاب "فتوح البلدان" ، دار القاهرة.
2. فوزي ساعاتي، " موارد البلاذري في كتابه فتوح البلدان " ، رسالة دكتوراة في جامعة أم القرى، 1989م.
3. صفاء حافظ، " البلاذري ومنهجه في فتوح البلدان " ، (ص 29-42) .